المقومات القرآنية الذاتية للنصر عند المسلم من خلال سورة الأنفال

الدكتور

الولي محمد محمود الشنقيطي

أستاذ التفسير المساعد

جامعة الطائف - فرع الخرمة

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعد فإن الإشكال الذي يناقشه هذا البحث يتمثل في محاولة إيضاح جوانب من العلاقة التي قدمها القرآن الكريم بين معاني النصر ومقتضياته من جهة، وبين منظومة القيم والأخلاق التي تؤهل المسلم لتحقيقه من جهة أخرى).

وأهمية الموضوع تكمن في كونه يتناول هدفا كبيرا من الأهداف التي يتوق كل مسلم إلى تحقيقها، ويتساءل الناس عن أسباب غيابها؛ ألا وهو النصر، خاصة في ظل الهزائم التي تلاحق الأمة في أغلب المجالات الاقتصادية والسياسية والتعليمية، بله العسكرية، كما يستمد الموضوع قيمته الكبرى من كونه ينطلق من زاوية قرآنية تضيء للباحث فيه والناظر إليه الطريق بنور الوحي المنزل من لدن حكيم خبير).

ولا يخلو هذا الموضوع من صعوبات تواجه الباحث فيه؛ ومن أخطرها الجفوة الكبيرة بين واقعنا وبين ما يصبو إليه البحث، علاوة على كون الدراسات القرآنية التي تهتم بالتنمية البشرية عموما، ورفع منسوب الفاعلية عند أفراد المجتمع المسلم خاصة شحيحة ــ للأسف ــ مقارنة بغيرها من الموضوعات).

ويمكن تصنيف المصادر والمراجع انطلاقا من أهميتها على النحو التالي؛ فأهم المصادر والمراجع التي يتوكأ عليها: القرآن الكريم الذي هو السند الأول للموضوع ، ثم كتب التفسير باعتبارها توضح مضامين النصوص القرآنية، وتحدد دلالتها، ثم كتب الحديث التي تبين ما أجملته بعض الآيات، وتقيد بعض ما أطلقته، وتخصص جانبا مما أجملته، وخاصة الصحيحين، ثم المعاجم التي يعتمد عليها في إيضاح كثير من العبارات اللغوية، ووضعها في سياقها المعجمي ، ثم

الكتب العامة التي تحوي جوانب من آراء بعض المهتمين بالموضوع من الرعيل الأول؛ ممن لهم قدم راسخة قد يستفاد مما دونوه في إنارة جوانب هامة من الموضوع،).

ويلحظ على جل الكتب التي تفسر أو تعلق على النص القرآني، التي يمكن الإفادة منها في البحث أنها لا تتناول الموضوع استقلالا، وإنما تومئ إليه في ثنايا الحديث عن قضايا أخرى؛ مما يتطلب جهدا كبيرا في انتقاء المعلومات المناسبة منها، وتنسيقها، والربط بينها لخدمة أهداف البحث...

وفي سبيل بناء البحث على أسس منهجية تم وضعه في هذه الخطة التي تعتمد على مقدمة أشرنا إلى عناصرها سلفا، ومدخل يحدد السياقات العامة للموضوع، ومباحث أربعة تنتظم محاور الموضوع ، وخاتمة تستخلص أهم النتائج المستقاة من البحث).

مدخل(السياق العام للموضوع):

▪ مفاهيم أولية:

يتألف العنوان من عناصر ثلاثة يمكن تناولها في الحقول التالية؛

١: الدلالات المعجمية:

المقومات: وهي جميع مقوّم، فهي تنتمي إلى الحقل المعجمي ل: (قــوَم)، وتدل من بين معان كثيرة على القيام، أي الحركة والنهوض، نقيض الجلــوس[١]، والقوامة وهي المسؤولية والتحكم في الشيء، ومن ذلك قوامة المرء على ماله وأَمْره [٢]، ومن أكثر معانيها قربا من مدلول موضوعنا ما ورد في بعض معانى: "قَوام" من أنه: نِظامُ الأمْرِ وعِمادُه ومِلاكُه كقِيامِه"[٣] ، وإن كان الأظهر أنه مشتق من فعل قوَّم بالتشديد؛ ومصدره "التقويم" الذي ينطوي على التسديد والتحســين، ومن معانيه الاعتدال والاستقامة[٤] ...، وكل هذه المعاني تلمح إلى جانــب مــن اللفظ الذي نحن بصدد بيانه؛ فهو يدل على الاتصاف بصفات حميدة كالاســتقامة، ويُلزم صاحبه بالقيام بجملة من الأعمال التي تتطلب النهوض والحركة الدائمــة، ويمكنه من التسديد والتحسين في الأعمال والأقوال بشكل مستمر.

الذاتية: وهي من العبارات التي أضحى استعمالها كثيرا، بعد أن لم تكــن موجودة، وهي من مظاهر التجديد في اللغة؛ منسوبة إلى مؤنــث (ذو)[٥]، ومــن

---

١ ــ لسان العرب /: ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(د، ت)، مادة (قوم)، ٤٣٦/١٢.

٢ ــ م س ص ن.

٣ ــ ينظر: القاموس المحيط / الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث فــي مؤسســة الرســالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيــروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هــ – ٢٠٠٥ م، مادة (قوم)، ص: ١١٥٢.

٤ ــ ينظر: م س ن.

٥ ــ ينظر: لسان العرب/ لابن منظور: مادة (ذو): ٣٦٤/١٥.

معانيها المصاحبة، والامتلاك، الذي يعبر عنه معنى المصاحبة ــ عند أضافتها ــ الذي اشترطه النحاة لإلحاقها بالأسماء الخمسة[١]، والذات التي تستعمل في الاتصاف بالشيء، والخصوصية، والحال الذي عليه ما تضاف إليه؛ ولذلك قال بعضهم: "معنى اللهم أَصْلِح ذاتَ البَيْن أي أَصْلِح الحالَ التي بها يجتمع المسلمون"[٢]...).

وهذه المعاني تخدم الغرض الذي سيقت لأجله هذه العبارة في عنونة البحث؛ باعتبارها تدل على مجموعة الأوصاف المادية والمعنوية التي تؤهل المتصف بها للنصر.

النصر: وهو من مادة (نصر)، التي تدلّ على "إِعانة المظلوم، نصَره على عدوّه ينصُره"[٣] ، ومن معاني النصر منع الظلم، قال ابن منظور: " وفي الحديث (انصُر أَخاك ظالماً أَو مظلوماً)[٤]، وتفسيره أَن يمنَعه من الظلم إِن وجده ظالِماً وإِن كان مظلوماً أَعانه على ظالمه "[٥]، كما يطلق على الغلبة والتمكن والظهور على الأعداء؛ فيقال: "نَصَرَهُ الله على عدوِّه يَنْصُرُهُ نَصْراً"[٦].

---

١ ــ ينظر: شرح ألفية ابن مالك/ لابن عقيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، ٤٥/١.

٢ ــ لسان العرب/ لابن منظور: ٣٦٤/١٥.

٣ ــ م س ن: ٢١٠/٥.

٤ ــ أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: بدء الوحي، باب: لاَ يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، رقم: ٢٤٤٣، ١٦٨/٣، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: باب نَصْرِ الأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، ١٩/٨، رقم: ٦٧٤٧.

٥ ــ: لسان العرب/ ابن منظور ٢١٠/٥.

٦ ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.: ٢١١/٢.

وإن كان النصر بالمفهوم القرآني يدل على أن نشوته ينبغي أن ترتبط بذل العبودية لله، وليس بالشماتة وإظهار الفخر كما يفعل كثير من الناس، وهو ما يظهر من دلالاتها القرآنية.

٢: دلالات عناصر النصر ومقوماته في السياق القرآني: ــ اهتم القرآن الكريم بمقومات النصر الذاتية عند المسلم في إطار وضعها الصحيح وترشيدها، وتحفيز المسلم للأخذ بأسبابها، وصيانتها من الإفراط والتفريط؛ فحصر النصر في إرادة الله "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران: ١٢٦)، مع التنويه بسننه التي أرشد الله المسلم إليها؛ ومن أهمها الإيمان بالله، ونصرة دينه، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ" (محمد: ٤٧)، قال الإمام الشوكاني: " أي: إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار ، ويفتح لكم"[١] .

وهذا يدل على أن القرآن جعل النصر على الأعداء منوطا بامتثال أوامر شرعه، واجتناب نواهيه؛ إذ نصرة دينه لا تتأتى إلا بذلك، وقد حددت السورة معالم ذلك أكثر؛ فما مدى ذلك؟

٣: مدلولات العنوان في سياق السورة: ــ تظهر خصوصية السورة ــ من حيث علاقتها بموضوعنا ــ في تركيزها على الجوانب المادية والمعنوية في بناء الشخصية المسلمة المؤهلة للنصر؛ بدءا بكهوف تحصين المسلم من المنزلقات؛ بالتقوى الذي هو الحماية من كل شر، وإصلاح ذات البين الذي هو ملاك كل خير، وعصمة من كل فرقة وخلاف، كثيرا ما يكون سببا في غياب النصر، قال تعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ" (الأنفال:١)، مرورا بالأمر بالطاعة لله ورسوله: " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(الأنفال:١) إذ هي سبب كل نصر، ثم تحديد أسس الإيمان باعتبار تحقيقها من أهم أسباب الفوز

---

١ ــ فتح القدير /الشوكاني ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ : ٣٨/٥.

والتمكين " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ... الآيات" (الأنفال: ٢،٣)، ثم التذكير بالصفات الحميدة اللازمة لسلامة المعاملات، وعلى رأسها الأمانة التي هي سر استخلاف الإنسان في الأرض، وحفظها سبب كل نصر، والإخلال بها سبب في كل خسارة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنفال:٢٧).

المبحث الأول: التقوى وإصلاح ذات البين.

هذا ما يمكن تسميته مقومات وقائية؛ إذ يعتبر التزامها معينا على تفادي الوقوع في الهزيمة، ومعينا على تحقيق النصر؛ ويمكن تناولها على النحو التالي:

المطلب الأول: حقيقة التقوى في اللغة ودلالاتها القرآنية.

التقوى في اللغة من معانيها الوقاية، التي تدل على الحماية، قال الشاعر:

وِقايَةُ الله أَغْنَتْ عن مُضاعَفَة من الدُّروعِ وعن عال من الأُطُمِ[1]

وأصله الثلاثي المجرد (وقى)، وله دلالات من أهمها؛ الصّيانَة والستر عن الأَذَى والحماية والحفظ، يقاله وقاه فهو واقٍ ؛ ويطلق على وسيلة الدفاع، ومنه قولهُ تعالى : { مالهُمْ مِن اللهِ من واقٍ } (الرعد: ٣٤) ؛ أَي مِن دَافِعٍ [2] .

ومن صيغه الاتقاء، الذي يدل على المبادرة باتخاذ وسائل الوقاية قبل فوات الأوان، ولذا يقال: "اتَّقِ اللهَ: تَوَقَّهُ، أي اجعل بينَك وبينه كالوِقاية. قال النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم: "اتَّقُوا النّارَ ولو بِشقِّ تَمرة"، وكأنّه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها"[3].

---

١ ــ البيت من البسيط، وهو للبوصيري، ينظر: تاج العروس للزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين، الناشر : دار الهداية (د، ت)، (وقى)، ٢٢٦/٤٠، و "الأُطُمُ (بضَمَّةٍ و بضمتين) : القَصْرُ وكلُّ حِصْنٍ مبنيٍّ بحجارَةٍ وكلُّ بَيْتٍ مُرَبَّعٍ مُسَطَّحٍ ج : آطامٌ وأُطومٌ وآطامٌ مُؤَطَّمةٌ، كأَجْنادٍ مُجَنَّدَةٍ "، يراجع: القاموس المحيط للفيروز أبادي، ص: ١٠٧٦..

٢ ــ تاج العروس/ الزبيدي ، ٢٢٦/٤٠

٣ ــ مقاييس اللغة /ابن فارس ، المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر : اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م، ٩٩/٦..

وهذا المعنى من أقرب المعاني إلى ما نروم الإفصاح عنه من كون التقى من المقومات الوقائية التي أعطاها القرآن الأولية في أساب النصر؛ لأنها تجنب صاحبها الوقوع في الخلل الذي يترتب عنه الانهزام.

وفعل وقى من أكثر الألفاظ ورودا في القرآن الكريم، جاء بصيغة الماضي مبينا علو منزلة المتقين؛ قال تعالى: " وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (البقرة:٢١٢)، وقد وصف ابن عاشور هذه الفوقية التي منحها القرآن للمتقين بأنها عظيمة الشأن؛ وذلك حين قال: "والذين اتقوا فوقهم فوقية عظيمة لا يحيط بها الوصف، لأنها فوقية منحوها من فضل الله وفضل الله لا نهاية له"[1]، ويؤكد صاحب تفسير المنار أن هذا التفوق قد لا تظهر حقيقته في هذه الحياة؛ لأن المقاييس الدنيوية لا تساوي شيئا مقارنة بمقاييس الآخرة، كما أنه يوضح سرا من أسرار التعبير القرآني هنا بوصف هؤلاء بالمتقين فيقول: " (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فَإِذَا اسْتَعْلَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ طَائِفَةً مِنَ الزَّمَنِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ الْفَانِيَةِ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَنْصَارِ وَالْمَالِ والسُّلْطَانِ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ يَكُونُونَ أَعْلَى مِنْهُمْ مَقَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ الْعَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ . وَلَمْ يَقُلْ : وَالَّذِينَ آمَنُوا فَوْقَهُمْ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَفْتُونِينَ بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَدَّعُونَ الْإِيمَانَ لِأَنَّهُمْ وُلِدُوا وَنُشِّؤوا بَيْنَ قَوْمٍ يُدْعَوْنَ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ ، فَاللهُ يُرْشِدُنَا إِلَى أَنَّهُ لَا اعْتِدَادَ بِالْإِيمَانِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِذَا صَحِبَتْهُ التَّقْوَى وَكَانَتْ أَثَرًا لَهُ فِي النَّفْسِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) (مريم : ٦٣) وَ (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)، (آل عمران : ١٣٣) وَ (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

١ ــ تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢/٢٨١.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) (المائدة : ٩٣)[١].

وهنا تظهر منزلة المتقين باعتبارهم الصفوة الذين يستحقون التكريم الأكبر، وينالون المنازل العالية التي لم ينلها غيرهم؛ وذلك لاتقائهم الوقوع في أسباب المخالفات؛ ولذلك عصمهم الله من كثير من الأخطاء التي تؤدي إلى الضعف؛ وتسبب الانهزام النفسي والمادي.

وكثر ورود هذا الفعل بصيغة الأمر(اتقوا) في القرآن الكريم؛ مما يدل على حضوره في مختلف قضايا التشريع الملزمة؛ من معاملات، وعبادات، وأخلاق، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"(آل عمران: ١٠٢).

يقول ابن عاشور مبيننا أهمية الأمر بالتقوى هنا وشموليته للأولين والآخرين، وعلاقته بالتربية الوقائية الشاملة: "انتقل من تحذير المخاطبين من الانخداع لوساوس بعض أهل الكتاب، إلى تحريضهم على تمام التقوى، لأن في ذلك زيادة صلاح لهم ورسوخا لإيمانهم، وهو خطاب لأصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويسري إلى جميع من يكون بعدهم"[٢]، ويبين الشوكاني شمولية هذا الأمر لضبط كل جوانب حياة الإنسان في المنشط والمكره؛ قائلا: "التقوى التي تحق له ، وهي : أن لا يترك العبد شيئاً مما يلزمه فعله ، ولا يفعل شيئاً مما يلزمه تركه ، ويبذل في ذلك جهده ، ومستطاعه"[٣].

---

١ ــ تفسير المنار/ محمد رشيد رضا ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر : ١٩٩٠ م ٢١٨/٢

٢ ــ التحرير والتنوير/ ابن عاشور: ١٧٣/٣.

٣ ــ فتح القدير/ الشوكاني: ٤٢٠/١.

وقد ورد هذا الفعل بصيغة المضارع كثيرا أيضا في ثنايا التنزيل، قال تعالى: " وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (الأعراف : ١٦٩)، وقد بينت هذه الآية مكانة التقوى، وأهميتها في تحديد مصير الإنسان، وعلاقتها بتوحيده لخالقه، ووفائه بمتطلبات دينه، وهي التي على أساسها يتحدد مصيره الأبدي، وبها ينال سعادته المنشودة؛ يقول محمد رشيد رضا: "يُفِيدُ بِمُقَابَلَتِهِ أَنَّ نَعِيمَ الْآخِرَةِ لَيْسَ كَنَعِيمِ الدُّنْيَا لَعِبًا وَلَهْوًا يَعْبَثُ بِهِ الْعَابِثُونَ ، أَوْ يَتَشَاغَلُونَ وَيَتَسَلَّوْنَ بِهِ عَنِ الْأَكْدَارِ وَالْهُمُومِ ، بَلْ هُوَ مِمَّا يَقْصِدُهُ الْعَاقِلُ لِفَوَائِدِهِ وَمَنَافِعِهِ الثَّابِتَةِ الدَّائِمَةِ – وَأَنَّ تِلْكَ الدَّارَ لِلَّذِينِ يَتَّقُونَ الشِّرْكَ وَالشُّرُورَ الْمُحَرَّمَةَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ الَّذِينَ لَا حَظَّ لَهُمْ مِنْ حَيَاتِهِمْ إِلَّا التَّمَتُّعَ الَّذِي هُوَ مِنَ اللَّعِبِ فِي قِصَرِ مُدَّتِهِ ، وَعَدَمِ فَائِدَتِهِ[١]، كما أن ختام الآية يشير إلى ارتباط متطلبات التقوى بالعقل الذي ينير للإنسان دروب الخير، ويقيه مصارع السوء.

وقد بين ابن عاشور هنا بعض أسرار التعبير القرآني بالاستفهام عن العقل هنا في سياق التقوى؛ قائلا: "{وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} وقد نزلوا في تخيرهم عرض الدنيا بمنزلة من لا عقول لهم فخوطبوا بـ {أَفَلا تَعْقِلُونَ} بالاستفهام الإنكاري"[٢].

وبذلك يظهر جانب من حقيقة التقوى في القرآن الكريم باعتبارها تحصينا لحاضر الإنسان من الزلل، وتأمينا لمستقبله في الحياة الأبدية، وهو عامل حاسم في كل نصر، وانعدامه سبب كل هزيمة.

---

١ ــ تفسير المنار /محمد رشيد رضا: ٣٠٤/٧.

٢ ــ تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور: ٣٤٢/٨.

المطلب الثاني: معاني إصلاح ذات البين اللغوية ودلالتها القرآنية:

هذا التركيب يحتوي على ثلاثة ألفاظ، هي؛

إصلاح: وهو مصدر أصلح، ومن معانيه في اللغة إقامة الشيء بعد أن فسد، يقال: "وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده أَقامه"[١]؛ مما يدل على إن الإصلاح دائما يكون لمعالجة الفساد، أو محو آثاره السيئة، ومجردها "صلح"؛ وله معان من أهمها قولهم "الصَّلاح : ضِدُّ الفَسادِ كالصُّلوحِ"[٢]، وهو ما يدل على أهمية هذا اللفظ في الوقاية من المفاسد، كما يطلق على رأب الصدع بين المتنازعين، وإحلال السلم محل الحرب؛ يقول صاحب التاج: "والصُّلْحُ تَصالُح القوم بينهم، والصُّلْحُ السِّلْم"[٣]، وهذا المعنى هو الأقرب لموضوعنا المتعلق بإصلاح ذات البين.

ذات: بمعنى الصاحبة، مذكرها (ذو)[٤]، وبإضافتها إلى البين تأخذ معنى الحقيقة، أو الحال أحيانا؛ فيقال: "ذاتَ بينِكم أي : حقيقةَ وَصْلكُمْ، أو ذاتُ البَيْنِ : الحالُ التي بها يَجْتَمِعُ المُسْلِمُونَ"[٥].

البين: وهو من الألفاظ التي تحتمل معنيين متضادين، يتحدد المراد منهما من السياق؛ قال صاحب المصباح: "وَالْبَيْنُ بِالْفَتْحِ مِنْ الْأَضْدَادِ يُطْلَقُ عَلَى الْوَصْلِ وَعَلَى الْفُرْقَةِ وَمِنْهُ ذَاتُ الْبَيْنِ لِلْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَقَوْلُهُمْ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَيْ لِإِصْلَاحِ الْفَسَادِ بَيْنَ الْقَوْمِ وَالْمُرَادُ إسْكَانُ الثَّائِرَةِ"[٦]، وهي في الأصل من الظروف

---

١ ــ تاج العروس/ الزبيدي: ٥١٦/٢.
٢ ــ القاموس المحيط: ص: ٢٢٩
٣ ــ لسان العرب/ ابن منظور: ٥١٦/٢.
٤ ــ يراجع: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: ١٥٠/١.
٥ ــ القاموس المحيط: ١٧٤١/١.
٦ ــ المصباح المنير/ أبو العباس الحموي ، الناشر المكتبة العلمية بيروت (د، ت): ٧٠/١.

التي تتحدد طبيعتها من خلال ما تضاف إليه؛ يقول صاحب المصباح: "وَبَيْنَ ظَرْفٌ مُبْهَمٌ لَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَاه إلَّا بِإِضَافَتِهِ إلَى اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ (البقرة: ٦٨) [١].

وقد وردت عبارة "ذات" في القرآن الكريم مضافة إلى البين محققة بذلك معنى الظرفية الآنف الذكر، (ذات بينكم)، وهو ما يضيف البعد المكاني للمعنى، ويجعله أكثر التصاقا بالمتصفين به؛ ويمكن استيضاح المعنى المراد من اللفظ أكثر من خلال وروده في السياقات القرآنية، على النحو التالي.

وعلى هذا الأساس وردت في القرآن الكريم؛ "وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ" مقترنة بصيغة الأمر؛ مما يدل على أهمية الموضوعات التي تتعلق بها، قال ابن كثير: "أَي اتَّقُوا اللَّهَ فِي أُمُوركُمْ وَأَصْلِحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَلَا تَظَالَمُوا، وَلَا تَخَاصَمُوا، وَلَا تَشَاجَرُوا، فَمَا آتَاكُمُ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ خَيْرٌ مِمَّا تَخْتَصِمُونَ بِسَبَبِهِ"[٢].

وذلك لتعلق كثير من مصالح الأمة بها، ولأن في إصلاحها تحقيقا لكثير من المقاصد التي يهدف الشرع إلى تحقيقها؛ قال محمد رشيد رضا: "وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ أَيْ: أَصْلِحُوا نَفْسَ مَا بَيْنِكُمْ، وَهِيَ الْحَالُ وَالصِّلَةُ الَّتِي بَيْنَكُمْ، تَرْبِطُ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ، وَهِيَ رَابِطَةُ الْإِسْلَامِ، وَإِصْلَاحُهَا يَكُونُ بِالْوِفَاقِ وَالتَّعَاوُنِ وَالْمُوَاسَاةِ وَتَرْكِ الْأَثَرَةِ وَالتَّفَرُّقِ، وَالْإِيثَارِ أَيْضًا، وَالْبَيْنُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى الِاتِّصَالِ وَالِافْتِرَاقِ، وَكُلِّ مَا بَيْنَ طَرَفَيْنِ كَمَا قَالَ: "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ" (الأنعام: ٩٤)، وَيُعَبَّرُ عَنْ هَذِهِ الرَّابِطَةِ بِذَاتِ الْبَيْنِ، وَأُمِرْنَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَهُوَ وَاجِبٌ شَرْعًا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ قُوَّةُ الْأُمَّةِ وَعِزَّتُهَا وَمَنَعَتُهَا وَتُحْفَظُ بِهِ وَحْدَتُهَا"[٣].

---

١ ــ م س ن : ١/ ٧٠.

٢ ــ تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ، ٨/٤.

٣ ــ تفسير المنار/ محمد رشيد رضا: ٤٨٩/٩.

وفي إصلاح ذات البين تصفية للصدور، وإشغال لها بذكر باريها، والصفح عن الناس، وتفويت للفرصة على الشيطان الذي يحاول غواية المسلمين والإيقاع بينهم، والتأثير على مستوى إيمانهم؛ يقول الشعراوي: "لأن من مهام الشيطان أن يفرق بين المؤمنين بوسوسته لهم، فإذا ما تذكروا الله وما أعده لأهل الإيمان؛ فهم يبصرون الحقيقة الأولى التي ترتفع على كل شيء وهي الإيمان بالله، وهذا الإيمان إنما يتطلب تصفية القلوب من كل ما يكدرها حتى تكون خالصة نقية[١].

فإصلاح ذات البين تحصين داخلي للمجتمع يكسبه مناعة وقوة لمواجهة الأعداء بقلوب متآلفة، وصفوف متراصة، بعيدا عن التخاذل والتباغض الذي يسبب الهزيمة النفسية والروحية.

المطلب الثالث : علاقة التقوى بإصلاح ذات البين

جاء في مستهل السورة قول الله تعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (الأنفال:١).

فقد اقترن التقوى بإصلاح ذات البين في الخطاب القرآني هنا؛ مما يدل على العلاقة الوطيدة بينهما، وهي تظهر في صور متعددة؛ منها:

ـ أن التقوى تتعلق بضبط تصرفات الإنسان الشخصية من أفعال وأقوال، وإصلاح ذات البين يتعلق بضبط تصرفاته تجاه الآخرين، والمحافظة على سلامة الصدور بينهم، والحد من حظوظ النفس في التعامل معهم، ويوضح هذا ما نقله المفسرون في سبب نزول الآية من خلاف في قسمة الغنائم ونحوها؛ يقول الإمام القرطبي: " قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ) أَمْرٌ بِالتَّقْوَى وَالْإِصْلَاحِ، أَيْ كُونُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ الْبَيْنِ، أَيِ الْحَالُ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الِاجْتِمَاعُ. فَدَلَّ هَذَا عَلَى التَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ شَجَرَ بَيْنَهُمُ اخْتِلَافٌ، أَوْ مَالَتِ

١ ـ تفسير الشعراوي/الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧، ٤٥٥٦/٨.

النُّفُوسُ إِلَى التَّشَاحِّ، كَمَا هُوَ مَنْصُوصٌ فِي الْحَدِيثِ[١]... أَيِ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَقْوَالِكُمْ، وَأَفْعَالِكُمْ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ"[٢].

ــ ومن العوامل المشتركة بينهما كذلك كون كل منهما يقي الأمة كثيرا من الشرور والآفات؛ و يحليها بزينة محاسن الأخلاق، وسبق أن بينا بعض معاني التقوى؛ وكونها تفضي إلى اجتناب كل المنهيات التي تضر بمصالح الإنسان العاجلة والآجلة؛ فكذلك إصلاح ذات البين يقضي على كثير من أمراض المجتمع العاجلة والآجلة؛ يقول السعدي: {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب والتواصل.. فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل – بسبب التقاطع –من التخاصم، والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم؛ فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر"[٣].

ــ وقد يبين الشعراوي أن من مقتضيات التقوى في ضوء الآية إصلاح ذات البين باعتبار ذلك من مقتضيات التسليم بحكم الله الشامل لهذا الكون،

---

١ ــ يشير القرطبي هنا إلى روايات؛ لعل من أصحها ما نقل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَتَى مَكَانَ كَذَا وَكَذَا أَوْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا [فَلَهُ كَذَا وَكَذَا] فَتَسَارَعَ إِلَيْهِ الشُّبَّانُ وَبَقِيَ الشُّيُوخُ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤوا يطلبون ماقد جَعَلَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمُ الْأَشْيَاخُ: لَا تَذْهَبُونَ بِهِ دُونَنَا فَإِنَّا كُنَّا رِدْءاً لَكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١]، رواه أبو داود، وقال الألباني إنه صحيح في تعلقه عليه، ينظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان الدارمي، ترتيب: الأمير أبي الحسن علي بن بلبان، ومؤلف التعليقات الحسان: الألباني، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الحديث: ٥٠٧١، ٣٦٦/٧.

٢ ــ تفسير القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٣٦٤/٧.

٣ ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، ٣١٥/١.

وبالخضوع لمنهجه القويم؛ فيقول: "لأن مدلول الإيمان هو اقتناع القلب بقضية لا تطفو للمناقشة من جديد، وكذلك اقتناع بأن هذا الكون له إله واحد، وله منهج يبلغه الرسول المؤيد من الله عَزَّ وَجَلَّ بالمعجزة، وهذا الإيمان وهذا المنهج يفرض عليكم تقوى الله بإصلاح ذات البين"[1].

ـ كما أنها ترتبط بثمار التقوى التي أشارت السورة إلى بعضها؛ ففيها أن التقوى تحقق الفوائد الهامة التالية:

ـ تعطي صاحبها القدرة على التفريق بين الحق والباطل: قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا"(الأنفال:٢٩)، ومن مقتضيات ذلك أن يميز وجوه المصلحة في إصلاح ذات البين فيسعى فيها، ووجوه المفاسد فيها فيبتعد عنها.

ـ الحصول على جوائز كبرى من أهمها تكفير الذنوب، والمغفرة من خالق الكون، ذي الفضل العظيم، قال تعالى: "وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (الأنفال:٣٠)، وهذه الصفات يتطلب الحفاظ عليها ـ وهي ثمينة ـ الابتعاد عن الوقوع في أعراض المسلمين، والتحرز الشديد من السعي في إفساد ذات البين بينهم.

---

١ ـ تفسير الشعراوي/ الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧، ٤٥٦٩/٨.

المبحث الثاني: الاستجابة والطاعة:

المطلب الأول: الاستجابة في إطارها اللغوي وسياقها القرآني.

مصدر فعل استجاب؛ وهو بمعنى الإجابة[١]، قال الإمام البخاري: "اسْتَجِيبُوا: أَجِيبُوا لِمَا يُحْيِيكُمْ يُصْلِحُكُمْ "[٢] ، وذلك يقتضي الطاعة؛ فقد استحسن بعضهم أن "الِاسْتِجَابَةَ هِيَ الْإِجَابَةُ بِعِنَايَةٍ وَاسْتِعْدَادٍ، فَتَكُونُ زِيَادَةُ السِّينِ وَالتَّاءِ لِلْمُبَالَغَةِ"[٣]؛ وقد ورد الأمر بهذه الصيغة في القرآن الكريم مقرونا بالوعيد الشديد؛ مفردا الرب جل جلاله تارة؛ كما جاء في قوله تعالى: " اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ " (الشورى:٤٧) ، ومثنيا بالرسول صلى الله عليه تارة أخرى؛ كما في قله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"(الأنفال:٢٤).

ومن مقتضيات هذه الصيغة تعلم أوامر الخالق والنهوض بها على الوجه الأكمل المرضي عند الله تعالى؛ قال صاحب تفسير المنار ــ عند تعليقه على قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ" ــ "مَعْنَاهُ إِذَا عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الطَّاعَةِ، وَشَأْنُ سَمَاعِ التَّفَقُّهِ مِنَ الْهِدَايَةِ، وَقَدْ دَعَاكُمُ الرَّسُولُ بِالتَّبْلِيغِ عَنِ اللهِ تَعَالَى لِمَا يُحْيِيكُمْ، فَأَجِيبُوا الدَّعْوَةَ بِعِنَايَةٍ وَهِمَّةٍ، وَعَزِيمَةٍ وَقُوَّةٍ لَهَا بَعْدَ حُصُولِهَا"[٤].

---

١ ــ ينظر القاموس المحيط: ٢٠٦/٢

٢ ــ انظر :صحيح البخاري: بَابُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤] " ٦١/٦

٣ ــ تفسير المنار: ١٣٨/٢.

٤ ــ محمد رشيد رضا: ٥٢٥/٩.

المطلب الثاني: أهمية الاستجابة للأوامر الإلهية بـ:

أ ـ تحقيق الحياة الحقيقية: فقد ربطت السورة بين الاستجابة لله وللرسول وبين الحياة ربطا لا انفكاك له؛ إذ اعتبرت امتثال الأوامر حياة للنفس البشرية. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ" (الأنفال: ٢٤).

ومن أسرار اقتران الاستجابة لله وللرسول هنا بلفظ الحياة كونها تحيي صاحبها بالارتباط بالخالق حياة أكبر من مجرد الحياة المادية المحدودة؛ فهي تعطيه حياة مستمرة، تستمد معينها الذي لا ينضب من أنها "حَيَاةُ الْعِلْمِ بِاللهِ تَعَالَى وَسُنَنِهِ فِي خَلْقِهِ، وَأَحْكَامِ شَرْعِهِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَكْمُلُ بِهَا الْفِطْرَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي الدُّنْيَا، وَتَسْتَعِدُّ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْحَيَاةِ هُنَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالسُّلْطَانِ – وَالصَّوَابُ أَنَّ الْجِهَادَ يَدْخُلُ فِيمَا ذَكَرْنَا، وَلَيْسَ هُوَ الْحَيَاةَ الْمَطْلُوبَةَ، بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ لِتَحَقُّقِهَا وَسِيَاجٌ" لها بعد حصولها [1].

ب ـ استشعار الرقابة الإلهية: ففي السورة دعوة إلى:

ـ استشعار المراقبة الإلهية؛ لنيل درجة الإحسان، وربط ذلك بالإيمان بالبعث، قال تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (الأنفال: ٢٤).

ـ خطورة الانحرافات الجاهلية في العبادة؛ فقد حذرت السورة من السلوك المنحرف للعبادة الذي يقوم على التقليد الأعمى، ويبتعد عن المنهج الرباني؛ مكتفية بوصف سلوك الجاهليين في ذلك الانحراف؛ قال تعالى: "وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" (٣٥)

---

١ تفسير المنار ٩/٥٢٥

جـ ـ البعد عن الفتن: لخطورة آثارها على الأفراد والجماعات؛ ولتجاوز آثارها المدمرة للأشخاص الذين أشعلوها، قال تعالى: " وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (الأنفال:٢٥).

فاتقاء الفتنة يؤدي إلى وجود حماية جماعية؛ لأن عدم اتقائها يجعل الكل عرضة للوقوع في براثنها؛ قال الشوكاني ــ رحمه الله" "اتقوا فتنة تتعدّى الظالم فتصيب الصالح والطالح ، ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم"[١].

وفي الآية دلالة على أن من أسباب الفتن التي لا تميز بين ظالم ومظلوم انعدام أخذ أي كان بالمبادرة في إطفائها قبل فوات الأوان، أو التخاذل والاختلاف في مواجهتها؛ فكأن فيها أمرا ضمنيا للجميع بالوقوف في وجه الفتن؛ وقد جاء ذلك "عقب تحريض جميعهم على الاستجابة، المستلزم تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنهم قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم؛ إذا هم لم يقوموا عوج قومهم، كيلا يحسبوا أن امتثالهم كاف إذا عصى دهماؤهم، فحذرهم فتنة تلحقهم فتعم الظالم وغيره، فان المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ دب بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء، وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة."[٢].

---

١ ــ فتح القدير: ٣/١٧٠:

٢ ــ التحرير والتنوير/ ابن عاشور: ٩/٧١

المطلب الثالث: الطاعة في دلالاتها اللغوية وسياقاتها القرآنية:

الطاعة مصدر من طاع، وله معان متقاربة؛ من أهمها: الانقياد [١]، والمُطاوَعةُ الموافقة ... وأَطاع النَّبْتُ وغيره لم يمتنع على آكله، وأَطاعَ له المَرْتَعُ إِذا اتَّسَعَ له المرتع وأَمْكَنَه الرَّعْيُ[٢]، والاستِطاعة: الإطاقَة، وربَّما قالوا اسْطاعَ يَسْطيعُ، يحذفون التاء استثقالاً لها مع الطاء[٣] .

وهذه المعاني كلها محتملة في المفهوم الذي بين أيدينا من خدمتها للمدلولات القرآنية؛ باعتبارها تصب في اتجاه الانقياد لأوامر الله، وموافقة سنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتتسع لجميع المخاطبين، وترتبط بالطاقة؛ إذ لا تكليف بما لا يطاق.

ولا تبتعد الدلالات القرآنية كثيرا عن هذا الإطار العام؛ وإن كانت أكثر تحديدا في بعض مدلولاتها، وترتبط بالسياق الذي وردت فيه، كما أنها تضع بعض القيود الشرعية على مفهوم الطاعة إذا تعلق بالمخلوق، وسنورد نماذج منها لتتضح الصورة.

ــ فالطاعة هنا اتباع المأمورات، والخوف من الله؛ قال تعالى "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ"(النور: ٥٢)؛ قال ابن عاشور: "وَمَعْنَى وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَنَّهُ يُتَابِعُ حُدُودَهُ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي مُقَابِلِهِ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ"[٤].

ــ وفيها إيعاز بضرورة الاستجابة والدخول في صفوف المستجيبين؛ يقول الشوكاني: "وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُقَرِّرَةٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنْ حُسْنِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَرْغِيبِ مَنْ

---

١ ــ يراجع تاج العروس للزبيدي: ٤٦١/٢١

٢ ــ لسان العرب: ٨/ ٢٤٠.

٣ ــ الصحاح /الجوهري ١٢٥٥/٣.

٤ ــ تفسير التحرير والتنوير : ٢٦٨/٤:

عَادَاهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي عِدَادِهِمْ وَالْمُتَابَعَةِ لَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّقْوَى"[١].

ــ وقد شمل الأمر بالطاعة في الخطاب القرآني أولي الأمر؛ باعتبار طاعتهم تحقق مصالح كثيرة للأمة، وتسهم في القضاء على الفتن؛ قال تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" (النساء: ٥٩).

لكن الإسلام فرق بين الطاعة المطلقة لله ولرسوله، وبين الطاعة المقيدة بطاعة الله في حق غيرهما؛ ممن ليس معصوما، ومن أبلغ الأدلة على ذلك وأكثرها في وضوحا في هذا المجال ما رواه البخاري وغيره "عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[٢].

ــ ويبقى وجوب طاعة ولي الأمر هو الأصل فيما لا يخالف صريح الشرع؛ للآية الآنفة، وللأحاديث الكثيرة، التي من أصرحها، وأكثرها دلالة على

---

١ ــ فتح القدير: ٥١/٤.

٢ ــ أخرجه البخاري في صحيحه، بَابُ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيِّ وَيُقَالُ: إِنَّهَا سَرِيَّةُ الأَنْصَارِ، رقم: ٤٣٤٠، ومسلم في باب وجوب طاعة الأمراء في معصية، رقم: ١٨٤٠.

موضوعنا ما رواه البخاري وغيره "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»»[1].

وهذا الحديث صريح في وجوب طاعة الأمير، ونص لا يقبل التأويل على أهمية وجود الإمام في القتال، وكونه جنة ووقاية، وذلك من أهم أسباب النصر؛ وهذا مهم جدا؛ خاصة في أيامنا هذه التي خرج فيها كثير من أدعياء الفتن، وشوشوا على العامة، وتسببوا في كثير من المصائب للمسلمين، نسأل الله السلامة للجميع، والتزام الشرع والبعد عن الغلو.

ومن المعروف أن طاعة أولي الأمر يترتب عليها مصالح كثيرة ــ عامة وخاصة ــ تفوق أضعافا مضاعفة ما يظن من المصلحة في عدمها.

---

١ ــ أخرجه البخاري، بَابُ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِهِ ، رقم: ٢٩٥٧، ومسلم: ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ: رقم: ١٨٣٥.

المطلب الرابع: أهمية الطاعة؛

فقد بين القرآن الكريم أهمية طاعة ورسوله في أكثر من موضع؛ فجعلها سببا فيما يلي:

ــ نزول الرحمة : قَالَ تَعَالَى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [آل عمران: ١٣٢] .

ــ الدخول في جملة من أنعم الله عليهم: " وَقَالَ: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [النساء: ٦٩] .

ــ الفوز العظيم في الدنيا والآخرة: فالقرآن الكريم يرغب في طاعة الله ورسوله؛ ويربط الفوز الأبدي بتحقيقها؛ وقد ورد في ختام الآية السابقة ما يدل على أهمية الطاعة في تحقيق الفوز المطلق؛ وذلك في قوله تعالى: " فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"، وقد جاء في سورة الأحزاب ما يدل على أن ذلك الفوز يشمل ما قبل الحياة الأبدية؛ وذلك في قوله تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (الأحزاب:٧١)"، قال الشوكاني: أَيْ: ظَفِرَ بِالْخَيْرِ ظَفَرًا عَظِيمًا. وَنَالَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[١].

وقال تعالى: " تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ [النساء: ١٣ – ١٤].

ــ فض النزاعات وحلها بالرجوع إلى الكتاب والسنة؛ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" [النساء: ٥٩].

---

١ ــ فتح القدير: ٣٥٤.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل علـــى أن طاعـــة الله وطاعـــة رسوله عامل أساس في تحصيل السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، كما أنها سبب حاسم في فض الخلافات التي تضر بالمسلمين، وتفكك وحدتهم، وتشتت جهودهم، وتجعلهم عرضة للهزيمة أمام عدوهم.

المبحث الثالث: الإيمان والثبات:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان والثبات في اللغة وفي القرآن الكريم:

أ ـ الإيمان في مدلولاته اللغوية والقرآنية:

الإيمان من (أمن) الذي يحيل إلى الاطمئنان والانتظام، ومنه الأمن: وهو ضد الخوف[١]، ومنه قوله تعالى ((وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ)) (النساء: ٨٣) ، ومن مادته فعل (آمن) الذي يدل على التصديق، قال تعالى: ((فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (العنكبوت: ٢٦)، أَيْ: آمَنَ لِإِبْرَاهِيمَ لُوطٌ فَصَدَّقَهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ[٢].

وبين الإيمان والأمن ارتباط قوي، أوضحه قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) (الأنعام: ٨٢)، و يطلق الإِيمانُ: على الثِّقَة، وإِظْهار الخُضوعِ، وقَبول الشَّريعَةِ[٣].

وكل تلك المعاني تبين أن الإيمان لفظ يشمل معان كثيرة تتعلق بجوانب نظرية كالتصديق بما جاء به الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جملة وتفصيلا، وجوانب عملية تتطلب الخضوع لله في كل جوانب الحياة، وله ثمرات يجنيها صاحبها؛ منها الأمن والاطمئنان والثبات.

بـ ـ محددات الإيمان من خلال السورة:

حددت السورة في مطلعها سمات الإيمان، وبينت أنها تقوم على أساس الصفات التالية:

---

١ ــ القاموس المحيط: ص: ١١٧٦

٢ ــ فتح القدير للشوكاني: ٤/٢٣٠.

٣ ــ القاموس المحيط: ١١٧٦.

أ ــ وَجَلُ القلوب عند ذكر الله تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ".

ب ــ ازدياد منسوب الإيمان بتلاوة كتاب الله: " وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا"

جـ ــ التوكل على الله؛ قال تعالى: "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"

هـ ــ إقامة الصلاة؛ وهي تأديتها على الوجه المطلوب، قال تعالى: "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ"

وـ ــ البذل في سبيل الله؛ قال تعالى: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" (سورة الأنفال: ٢، ٣).

ــ ومن متطلبات الثبات : ذكر الله تعالى، الطاعة، عدم التنازع، الصبر.

فهذه المواصفات تنطبق على أهل الإيمان الكامل؛ قال السعدي: "ولما كان الإيمان قسمين: إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيمانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان، {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب" ...[1].

وبذلك يتأكد أن الإيمان له علاقة وطيدة بالأعمال؛ فهي مؤشر على مدى زياته إذا كانت في تحسن، أو نقصانه إذا كانت في تناقص؛ ولذلك فهو من أكثر العوامل إسهاما في التحسين الدائم لكل جوانب الحياة المادية والمعنوية.

---

١ ــ تفسير السعدي: ٣١٥/١.

المطلب الثاني: الثبات وعلاقة بالإيمان:

أ ـ دلالات الثبات المعجمية والقرآنية:

الثبات: مصدر فعل ثبت؛ ومن معانيه الدوام والاستقرار، والملازمة وعدم المفارقة(١).

ومن صيغه "الثَّبِيتُ" ومعناه: الثّابِتُ العقلِ. قَالَ العَجاج:

ثَبْتٌ إِذا مَا صِيحَ بالقَوْم وَقَرْ(٢)

والثّبِيتُ: الثّابتُ القُوَّةِ و العَقْلِ ، قَالَ طَرَفةُ:

الهَبِيتُ لَا فُؤادَ لَه والثَّبِيتُ قَلْبُهُ قِيمَهْ (٣).

ورجُلٌ ثَبْتُ الجَنَانِ من رِجالٍ ثُبَّتٍ، وثبْتُ القَدَمِ: لم يَزِلَّ فِي خِصامٍ أَو قِتال. وفارِس ثَبْتٌ، ورجلٌ ثَبْتٌ وثَبِيتٌ: عَاقل مُتَمَاسِكٌ، أَو قليلُ السَّقَط(٤)، وَفِي اللِّسان:

---

١ ــ انظر: المصباح للحموي: ٨٠/١.

٢ ــ وهذا شطر بيت من الرجز ، وهو : بِكُلِّ أَخْلَاق الرِّجَالِ قَدْ مَهَرْ ... ثَبْتٍ إِذَا مَا صِيحَ بِالْقَوْمِ وَقَرْ، وَالتَّوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ وَالتَّرْزِينُ.، يراجع: النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريب أَلْفَاظِ المهَذّب، لابن بطال الركبي، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، عام النشر: ١٩٨٨ م (جزء ١) ١٩٩١ م (جزء ٢)، ١١٣/١.

٣ ــ انظر: تاج العروس: ٤٧٢/٤.، هكذا وجدت عند الزبيدي، لكن لما رجعت إلى ديوان طرفة وجدت البيت على النحو التالي: فالهَبِيتُ لا فؤَادَ لَهُ ... والثّبِيتُ ثَبْتُهُ فَهَمَهْ
للفتَى عقْلٌ يَعِيشُ به ... حيثُ تَهْدي ساقَهُ قَدَمُهْ
من قصيدة من المديد، مطلعها: أشَجَاكَ الرَّبْعُ أمْ قِدَمُهْ ... أمْ رَمَادٌ، دارِسٌ حُمَمُهْ، فلعل البيت روي بالمعنى هنا والله أعلم.
يراجع: ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص: ٧١،٧٣، ٧٤.

٤ ــ م س ن: ٤٧٣/٤.

رجل ثَبْتُ الغَدَرِ إذا كَانَ ثَابتا فِي قِتَالٍ أَو كَلَام ... وتَثَبَّتَ فِي الأَمْر والرَّأْي، واستَثْبَتَ: تَأَنَّى فِيهِ ولَمْ يَعْجَل، واسْتَثْبَتَ فِي أَمْرِه إذا شَاوَرَ وفحَصَ عَنْهُ" [١].

فكل هذه المعاني تدل أن الثبات يتعلق بالتأني والقوة والعقل، واللزوم، والتروي في الكلام والفعل، والتفحص، وعدم العجلة في الأمر، وهي معان قريبة من معانيه في القرآن الكريم، وإن كانت الأخيرة أكثر تخصيصا، وتركيزا على معاني الصبر والتحمل، والتمسك بالقضايا الروحية.

فالثبات يحيل في القرآن الكريم إلى القوة، وعدم الانصياع للباطل قال تعالى: " وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" (الإسراء: ٧٤)، وقد بينت الآية هنا معنى صيغة التثبيت؛ وَالتَّثْبِيتُ: جَعْلُ الشَّيْءِ ثَابِتًا، أَيْ مُتَمَكِّنًا مِنْ مَكَانِهِ غَيْرَ مُقَلْقَلٍ وَلَا مَقْلُوعٍ، وَهُوَ مُسْتَعَارٌ لِلْبَقَاءِ عَلَى حَالِهِ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ، ومنه قوله تَعَالَى: "وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ" فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [٢٦٥] [٢]، ومن صيغه ما يدل على اللزوم، ومنه قوله تعالى: " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (الأنفال: ٣٠)، فالإثبات هنا من معانيه الحبس[٣].

ولعل كثرا من معاني الثبات القرآنية تدور في فلك لزوم الحق والتمسك به مهما كانت الصعاب في طريقه، وتحذر من الانصياع للباطل مهما كانت المغريات.

---

١ ــ ابن منظور: ١٩/٢.

٢ ــ ينظر: التحرير والتنوير/ ابن عاشور: ١٧٤/١٥.

٣ ــ ينظر: تفسير الطبري/ تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٤٩٢/١٣.

ب ـ علاقة الثبات بالإيمان:

ورد في السورة الأمر بالثبات مصدّرا بالنداء للمؤمنين، وبصيغة الأمر؛ قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"(الأنفال: ٤٥).

ومن الواضح أن الإيمان هو أهم عوامل الثبات؛ قال تعالى: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ"(إبراهيم: ٢٩)، وقد أوضح الزمخشري معاني التثبيت التي حوتها هذه الآية؛ بدءا بالتثبيت على التوحيد، والتمسك بالدين مهما صعب الامتحان، ومرورا بالثبات في وجه العدو في ساحات الوغى، وانتهاء بالثبات في عرصات القيامة؛ وذلك حيث يقول: "بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه، فاعتقده واطمأنت إليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا: أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا، كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود، والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، ... وتثبيتهم في الآخرة. أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم، لم يتلعثموا ولم يبهتوا، ولم تحيرهم أهوال الحشر"[١].

ومما سبق يمكن القول إن الإيمان والثبات مقترنان؛ فبقدر الإيمان يكون الثبات، وهما عنصران لا غنى عنهما في تحقيق أي نصر، ويمكن اعتبارهما من أولى الأولويات في التكوين الذاتي الذي يتطلبه المسلم؛ كي يكون عنصرا إيجابيا في حياته كلها؛ إذ الإيمان يقود المرء إلى صلاح حياته كلها، ويربطه بخالقه في كل تصرفاته، فيشعر برقابته، ويستغني عن رقابة المخلوق، والثبات يعطيه قوة في مواجهة الصعاب؛ ولذا فإن الدول إذا كونت أبناءها على قيم الإيمان القرآنية السمحة، ومقتضيات الشعور برقابة الخالق، والثبات على الحق في كل الأقوال والأفعال فإنها ستوفر ميزانيات ضخمة تنفقها عادة على رقابة الأشخاص، وتتبع أخطائهم، ومحاولة تصحيحها.

---

١ ــ الكشاف، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، ٥٥٤/٢.

المبحث الرابع: الأمانة والصبر:

المطلب الأول: مفهوم الأمانة في دلالتها اللغوية وسياقها القرآني.

الْأَمَانَةُ اسْمٌ لِمَا يَحْفَظُهُ الْمَرْءُ عِنْدَ غَيْرِهِ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْأَمْنِ؛ لِأَنَّهُ يَأْمَنُهُ مِنْ أَنْ يُضَيِّعَهَا، وَالْأَمِينُ الَّذِي يَحْفَظُ حُقُوقَ مَنْ يُوَالِيهِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَتِ الْأَمَانَاتُ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ مُبَالَغَةً فِي تَفْظِيعِ الْخِيَانَةِ، بِأَنَّهَا نَقْضٌ لِأَمَانَةٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَى نَاقِضِهَا، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [النِّسَاء: ٢٩] دُونَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ[١].

وبهذا التعريف تتضح علاقة الأمانة بالأمن؛ إذ هي تتعلق بالأنفس والأموال، وسائر أوجه التسيير المادي والمعنوي، التي تترتب عليها مصالح كبرى؛ ولذلك اهتم بها القرآن الكريم، وكان ورودها فيه مصحوبا ببيان عظم شأنها؛ فقد قال جل وعلا: " إنا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها"(الأحزاب: ٧٢).

قال الشوكاني: وَاخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: مَعْنَى الْأَمَانَةِ هَاهُنَا فِي قَوْلِ جَمِيعِ الْمُفَسِّرِينَ الطَّاعَةُ وَالْفَرَائِضُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِأَدَائِهَا الثَّوَابُ، وَبِتَضْيِيعِهَا الْعِقَابُ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالْأَمَانَةُ: تَعُمُّ جَمِيعَ وَصَائِفِ الدِّينِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ[٢].

كما ورد في السورة التي بين أيدينا اقتران ذكرها بالتحذير من خيانتها، مصحوبا بالنهي عن خيانة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؛ قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنفال: ٢٧).

---

١ ــ التحرير والتنوير/ ابن عاشور:٩/٣٢٣.

٢ ــ فتح القدير: ٤/٣٥٤.

فالآية تدل على منع خيانة الأمانة معنوية كانت أو مادية؛ فقد "نَهَاهُمُ اللَّـهُ عَنْ أَنْ يَخُونُوهُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِمَّا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَخُونُوا رَسُولَهُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِمَّا أَمَّنَهُمْ عَلَيْهِ، أَوْ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِمَّا سَنَّهُ لَهُمْ، أَوْ يَخُونُوا شَيْئًا مِنَ الْأَمَانَاتِ الَّتِي اؤْتُمِنُوا عَلَيْهَا، وَسُمِّيَتْ أَمَانَاتٍ لِأَنَّهُ يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنْ مَنْعِ الْحَقِّ، مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْأَمْنِ"(١).

وهي ميزان لمقدار التزام الشخص بقيمه، ودليل مصداقية المعاملات السليمة، يقول ابن عاشور: "وَلِلْأَمَانَةِ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي اسْتِقَامَةِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، مَا ثَبَتُوا عَلَيْهَا وَتَخَلَّقُوا بِهَا، وَهِيَ دَلِيلُ نَزَاهَةِ النَّفْسِ وَاعْتِدَالِ أَعْمَالِهَا"(٢).

وَقَدْ بالغ النّبي ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ من التحذير مِنْ إِضَاعَتِهَا أوالتَّهَاوُنِ بِهَا، وَبين أَنَّ فِي تضييعها اختلال أَمْرِ المجتمع، فَقد جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث حذيفة بن اليمان، قَالَ: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: " يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(٣).

وفي هذا الحديث واحد من أكثر الأدلة وضوحا على علاقة الأمانة بسير كل مجالات الحالات؛ إذ الإخلال بها يؤدي إلى خلل في كل مؤسسات المجتمع.

---

١ ــ م س ن: ٣٤٤/٢.

٢ ــ التحرير والتنوير: ٣٢٣/٩.

٣ ــ أخرجه البخاري في صحيحه، في باب رفع الأمانة: رقم: ٦٤٩٧، ومسلم في صحيحه، في بَاب رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ، وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ، رقم: ١٤٣.

المطلب الثاني: الصبر في دلالاته اللغوية وسياقه القرآني:

بينت السورة أن الصبر من أهم أسباب النصر، وإن كانت لم تصرح بلفظه، وقد قدمه القرآن على التقوى في أسباب النصر في سورة النساء" إن تصبروا وتتقوا "، ورغم كون الآية قدمت الحديث في مستهل السورة عن التقوى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) إلا أن الصبر قدم عليه في مواضع أخرى من القرآن، (إن تصبروا وتتقوا)؛ ربما لأن الأول أكثر إلحاحا في الميدان؛ وقد أخرناه ليقترن بالحديث عن الأمانة لأهميتهما في ميدان المعركة، وقرنا بينهما؛ لأن الأمانة تحتاج إلى الصبر على حفظها، والصبر عن الإخلال بها خاصة في الجوانب المادية التي هي أكثر عرضة للتضييع.

والصَّبْرُ فِي اللُّغَةِ: الْحَبْسُ، وَصَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى الشَّيْءِ: حَبَسْتُهَا[١]، وَمِنْهُ قَوْلُ عَنْتَرَةَ: فَصَبَرَتْ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً ... تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ[٢].

وقد أمر الله بالاستعانة بالصبر في كتابه، وأثنى على الصابرين؛ فقال ــ جل من قائل: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة:١٥٣).

والقرآن هنا يعطي توجيهات هامة يعبر عنها لفظ الصبر، وهي تشمل الامتناع عن كل ما من شأنه أن يثبط العزائم، أو يخل بطاعة الخالق فيؤدي إلى

---

١ ــ الشكوكاني/ فتح القدير: ٩٢/١،

٢ ــ هذا البيت من بحر الكامل، وقبله:

وعلمت أن منيتي إن تأتني ... لا ينجني منها الفرار الأسرع

فصبرت عارفة لذلك حرّة ... نفسي إذا نفس الجبان تطلّع؛

تراجع: التذكرة الحمدونية لمحمد بن حمدون البغدادي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ،٤٣٩/٢.

عدم امتثال أوامره، أو اجتناب نواهيه، فـ "الْمُرَادُ هُنَا: اسْتَعِينُوا بِحَبْسِ أَنْفُسِكُمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَصْرِهَا عَلَى الطَّاعَاتِ عَلَى دَفْعِ مَا يَرِدُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ"(١).

ورغم أن السورة التي بين أيدينا لم تصرح بلفظ الصبر فإنها دعت إليه ضمنيا، وذلك حين نهت عن تولي الأدبار أثناء المواجهة؛ وذلك يقتضي الصبر على ما يصيب المقاتل في ساحة المعركة، ويلزمه بالثبات في موقعه أمام العدو إلا لمقتضيات عسكرية؛ كالتحيز إلى فئة أخرى، أو التحول إلى موضع أكثر نكاية في الأعداء؛ قال تعالى: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (الأنفال: ١٥) ، قال ابن القيم: " فَإِنَّ تَوْلِيَةَ الْأَدْبَارِ: تَرْكٌ لِلصَّبْرِ وَالْمُصَابَرَةِ(٢).

قال الشوكاني: "فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْهَزِمُوا عَنِ الْكُفَّارِ إِذَا لَقُوهُمْ وَقَدْ دَبَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ لِلْقِتَالِ، فَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْعُمُومُ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ زَمَنٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ إِلَّا حَالَةَ التَّحَرُّفِ وَالتَّحَيُّزِ"(٣).

---

١ ــ فتح القدير للشوكاني: ٩٢/١.

٢ ــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ١٥١/٢.

٣ فتح القدير: ٣٣٥/٢.

المطلب الثالث: أهمية الصبر في تحقيق النصر وعلاقته بالأمانة.

ربط القرآن الكريم بين النصر والصبر في أكثر من موضع؛ ورغب فيه كثيرا؛ وقد قال فيه ابن القيم: "وهو وَاجِبٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفُ صَبْرٍ، وَنِصْفُ شُكْرٍ"(١).

وتتجلى أهميتهما والعلاقة بينهما فيما يلي:

أ ـ أهمية الصبر في تحقيق النصر: جعل الله الصبر والتقوى وقاية عظيمة من كيد العدو ومكره؛ فقال تعالى {وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } (آل عمران: ١٢٠).

قال ابن القيم: "علق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى: "بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ"(آل عمران: ١٢٥)(٢)، ولهذا ورد في حديث أنس أن النبي صلى الله عليه قال:: "النصر مع الصبر "(٣).

ب ـ العلاقة بين الأمانة والصبر؛ تظهر في:

أـ في معنيهما: فكون الْأَمَانَة وَصْفا مَحْمُودا مَشْهُورا بِالْحُسْنِ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَا يَكُونُ نَقْضًا لَهُ يَكُونُ قَبِيحًا فَظِيعًا، وَلِأَجْلِ هَذَا لَمْ يَقُلْ: وَتَخُونُوا النَّاسَ فِي أَمَانَاتِهِمْ فَهَذَا حَذْفٌ مِنَ الْإِيجَازِ(٤)، وكذلك الصبر وصف محمود بين الناس، تتفق العقول السليمة على حسنه، ويتطلب جهدا كبيرا، ويحتاج في الأمانة وفي غيرها.

---

١ ــ مدارج السالكين: ١٥١/٢.

٢ ــ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م: ص: ١٣

٣ ــ الحديث أخرجه الخطيب في تاريخه، وقال الألباني الألباني إنه صحيح ، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: ٦٨٠٦، ١١٥١/٢

٤ ــ ابن عاشور/ التحرير والتنوير: ٣٢٣/٩.

ب ــ بضدهما تتميز الأشياء؛ يقول الزمخشري: معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام. ومنه: تخوّنه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضدّ الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيل: خان الدلو الكرب، وخان المشتار السبب [١] لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له"[٢]، وكذلك الصبر فإن عكسه الجزع، ويعتبر نقصا، وعدم وفاء؛ فصاحبه يعتبر مخلا بما ينبغي أن يكون عليه من ثبات يقتضيه الحال، وفراره يعتبر خذلانا لمن يتعامل معه.

وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نقول إن الأمانة من أهم مقومات الشخصية الناجحة؛ إذ هي مؤشر لمدى وفاء الانسان بالتزاماته المادية والمعنوية، كما أنها تعتبر وسيلة لا غنى عنها لزرع الثقة بين الناس، بخلاف الخيانة فإنها تفسد ذات البين، وتؤدي إلى نشر الفساد، والتفكك الذي يسبب الشحناء والبغضاء، والصبر هو أساس لنجاح كل المهام، وسبب في كل نصر، و مقوم من مقومات الشخصية الناجحة، وهذان المقومان يعتبران من الأمور التي تظهر حقيقتها في المواقف الصعبة؛ لذا جعلها الإسلام من أولوياته، ورتب على فعلها أجورا كثيرة، وحذر من تضييعها، والتفريط فيها فجعله من الكبائر.

---

١ ــ قوله «خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب. قوله «الكرب» حبل يشد في رأس الدلو. و المُشْتار المجتني للعسل . والسبب: الحبل، يراجع: القاموس المحيط: ١/١٣٠، وغريب الحديث للبغدادي/ تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٣/٣٢٢.

٢ ــ الكشاف: ٢/٢١٣.

الخاتمة:

الحد لله الذي وفق لإنجاز هذا العمل، نسأل الله أن ينفع به كل من قرأه أو نشره، أو نظر فيه.

وبعد هذا التطواف بين ثنايا الآيات القرآنية، واستنطاقها عبر آراء جلة المفسرين واللغويين، ومناقشتها بما جادت به القريحة من تحليل، وتعليق، ومقارنة فإنه لا يسعنا ــ ونحن نضع اللمسات الأخيرة على هذا الجهد المبارك ــ إن شاء الله ــ إلا أن نسجل النقاط البارزة التي خرج بها، على النحو التالي؛

ــ فقد تبين أن مقومات النصر التي يتحدد من خلالها الموضوع تتطلب الاتصاف بصفات تلزم صاحبها بالقيام بجملة من الأعمال تتطلب النهوض بمسؤولياته تجاه نفسه وأمته، وتتطلب السعي الدائم من أجل ذلك، مع محاولة التسديد والتحسين في الأعمال والأقوال بشكل مستمر، وعلى صاحبها أن يجسد ذلك بالاتصاف بمجموعة من الأوصاف الحسية والمعنوية التي تؤهله للحاق بركب الفائزين، الذي يؤدي إلى التمكين في الأرض، ويحقق شروط الاستخلاف فيها، ويكسب النجاة يوم العرض الأكبر، والتعامل القويم مع النصر الذي يقتضي الانسجام مع المفهوم القرآني له الذي يدل على أن نشوة الفرح به ينبغي أن ترتبط بذل العبودية لله، وليس بالشماتة وإظهار الفخر.

ــ كما ظهر من خلال البحث أن مقومات النصر القرآنية من خلال سورة الأنفال تكمن في عدة جوانب؛ من أهمها:

ــ التقوى وإصلاح ذات البين؛ و يمكن تسميتها مقومات وقائية؛ إذ يعتبر التزامها معينا على تفادي الوقوع في الهزيمة، ومحفزا على تحقيق أسباب النصر بداية، ويظهر اهتمام القرآن بهذه الجوانب في كثرة تكرار فعل اتقى في صيغه

المختلفة، واقترانه بجل الأوامر، والنواهي، وكذا التركيز على إصلاح ذات البين، وتصدير السورة بذلك.

ـ الطاعة والاستجابة: فمن خلال النظر في القرآن الكريم وفي السورة تبين حضور الآيات الكثيرة التي تدل على أن طاعة الله وطاعة رسوله عامل أساس في تحصيل السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، كما أنها عامل حاسم في فض الخلافات التي تضر بالمسلمين، وتفكك وحدتهم، وتشتت جهودهم، وتجعلهم عرضة للهزيمة أمام عدوهم؛ كما أن طاعة أولي الأمر تحقق من المصالح ما جعلها من أولويات الإعداد الناجح لأي أمر رشيد.

ـ الإيمان والثبات: فهما مقترنان؛ وبقدر الإيمان يكون الثبات، وهما عنصران لا غنى عنهما لتحقيق أي نصر، ويمكن اعتبارهما من أولى الأولويات في التكوين الذاتي الذي يتطلبه المسلم؛ كي يكون عنصرا إيجابيا في حياته كلها، يلتزم حدوده، ويفي بحقوق غيره، ويثبت على الحق مهما كانت الصعاب.

ـ الأمانة والصبر: وقد تبين من خلال النصوص القرآنية أهمية الأمانة؛ إذ هي من أهم مقومات النجاح، وتعتبر مؤشرا وفاء المرء وإخلاصه في معاملاته وأخلاقه، وهي تزرع الثقة والمحبة بين المخلوقات، والإخلال بها يفسد العلاقات بين الناس، ويؤدي إلى التفكك والشحناء وانتشار البغضاء.

أما الصبر فهو أساس النجاح في كل جوانب الحياة، وسبب الانتصارات، وعكسه سبب الهزائم، و الصبر مقوم من أهم مقومات النجاح في الحياة.

ولأهمية هذين الموضوعين أولاهما الإسلام عناية خاصة، ورتب على الالتزام بهما أجورا كبيرة، واعتبر الاخلال بهما من الكبائر التي تؤدي بصاحبها في الدنيا والآخرة.

وفي الختام نسأل الله أن نكون قد وفقنا في هذا العمل في عرض المعالم البارزة لأهم المقومات الذاتية للنصر التي رسمها القرآن الكريم، وتجلت بصورة بارزو في سورة الأنفال ، عسى أن يسهم ذلك ــ ولو جزئيا ــ بالنهوض بواقع الأمة، وفي إنارة الدرب لمستقبلها على خطى ثابتة من منهج القرآن الكريم الذي يخاطب العقول الصالحة، والفطر السليمة؛ باعتباره الرسالة الخاتمة إلى أهل الأرض التي تحمل ما يصلح البشرية في كل عصورها، وعلى اختلاف أصنافها، وتعدد أطوارها.

ولا يسعنا هنا إلا أن نعتذر بأقوى عبارات الاعتذار للقراء عن التقصير الذي قد يلحظونه في هذا الجهد البشري الذي لا يخلو منه عمل إنساني.

فهرس المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**.

١ــ تاج العروس للزبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، الناشر : دار الهداية (د، ت).

٢ــ التذكرة الحمدونية، لمحمد بن حمدون البغدادي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ

٣ــ التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، ترتيب: الأمير أبي الحسن علي بن بلبان، مؤلف التعليقات الحسان: الألباني ، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٤ــ تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٥ــ تفسير الشعراوي/ الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧.

٦ــ تفسير الطبري، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٧ــ تفسير القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٨ــ تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٩هـ.

٩ــ تفسير المنار/ محمد رشيد رضا ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر : ١٩٩٠ م.

١٠ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١١ــ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢ــ ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٣ ــ شرح ألفية ابن مالك/ لابن عقيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

١٤ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٥ ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦ــ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٧ــ فتح القدير /الشوكاني ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

١٨ــ القاموس المحيط / الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٩ــ الكشاف للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٧هـ،

٢٠ــ لسان العرب /: ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(د، ت).

٢١ــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢٢– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣– المصباح المنير/ أبو العباس الحموي ، الناشر المكتبة العلمية بيروت (د، ت).

٢٤ــ مقاييس اللغة / ابن فارس ، المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر : اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٤٠٠١
٢	مدخل(السياق العام للموضوع):	٤٠٠٣
٣	المبحث الأول: التقوى وإصلاح ذات البين.	٤٠٠٧
٤	المطلب الأول: حقيقة التقوى في اللغة ودلالاتها القرآنية.	٤٠٠٧
٥	المطلب الثاني: معاني إصلاح ذات البين اللغوية ودلالتها القرآنية:	٤٠١١
٦	المطلب الثالث : علاقة التقوى بإصلاح ذات البين	٤٠١٣
٧	المبحث الثاني: الاستجابة والطاعة:	٤٠١٦
٨	المطلب الأول: الاستجابة في إطارها اللغوي وسياقها القرآني.	٤٠١٦
٩	المطلب الثاني: أهمية الاستجابة للأوامر الإلهية بـ:	٤٠١٧
١٠	المطلب الثالث: الطاعة في دلالاتها اللغوية وسياقاتها القرآنية:	٤٠١٩
١١	المطلب الرابع: أهمية الطاعة؛	٤٠٢٢
١٢	المبحث الثالث: الإيمان والثبات:	٤٠٢٤
١٣	المطلب الأول: حقيقة الإيمان والثبات في اللغة وفي القرآن الكريم:	٤٠٢٤

م	الموضوع	رقم الصفحة
١٤	المطلب الثاني: الثبات وعلاقة بالإيمان:	٤٠٢٦
١٥	المبحث الرابع: الأمانة والصبر:	٤٠٢٩
١٦	المطلب الأول: مفهوم الأمانة في دلالتها اللغوية وسياقها القرآني.	٤٠٢٩
١٧	المطلب الثاني: الصبر في دلالاته اللغوية وسياقه القرآني:	٤٠٣١
١٨	المطلب الثالث: أهمية الصبر في تحقيق النصر وعلاقته بالأمانة.	٤٠٣٣
١٩	الخاتمة:	٤٠٣٥
٢٠	فهرس المصادر والمراجع:	٤٠٣٨
٢١	فهرس الموضوعات	٤٠٤١